الفصل الثانى

الآثار والإضافات والتجديدات المعمارية الأموية فى العراق

جامع البصرة ١٤هـ/٦٣٥م (شكل ٦٤)

يعد مسجد البصرة من المساجد الأولى التى شيدت خارج الجزيرة العربية فى عهد الخلفاء الراشدين (١١-٤٠/ ٦٣٢-٦٦١م). شيده نافع بن الحارث بن كلدة وقيل القائد عتبة بن غزوان، وقيل محجر بن الأذرع البهزى، وقيل الأسود بن سريع[١].

يتوسط المسجد مدينة البصرة، وقد شيد عند إنشائه بالقصب شأنه فى ذلك شأن بقية منشآت المدينة، ثم بناه القائد أبو موسى الأشعرى باللبن والطين بعد استئذان الخليفة عمر بن الخطاب، رضى الله عنه عقب تعرض البصرة لحريق التهم قصبها، وكان تخطيط المسجد فى هذه العمارة من مساحة مربعة تنقسم إلى صحن وظلة للقبلة على غرار المسجد النبوى فى مرحلته الأولى قبل تحويل القبلة[٢].

وفى العصر الأموى شهدت مدينة البصرة تطوراً كبيراً، خاصة فى عهد زياد بن أبيه الذى يعد أول من شيد بها بالآجر والجص، فأعاد بناء الجامع ودار الإمارة بهذه المواد التى تمثل تطوراً ماديًا بنائيًا فى تاريخ عمارة المدينة، كما أنه أعاد تنظيم المدينة وتحديد تقسيماتها الطبغرافية والسكانية فقسمها إلى خمسة أخماس ضم كل خمس مجموعة من العشائر التى تنتمى إلى قبيلة واحدة، ويرأسه رئيس من تلك القبيلة، واردهرت الحياة الاقتصادية مما شجع زياد على تأسيس الأسواق، ويشير المؤرخون إلى تشييده مدينة الرزق وهى عبارة عن اسواق واسعة لها أربعة أبواب كما اهتم بإنشاء الوحدات العمرانية المتصلة بعمران المدينة كالمحلات والمربعات والحمامات، ومما يؤكد اتساع عمران المدينة ما فعله زياد الذى «جعل الشرط أربعة آلاف» مع استتباب الأمن فى عهده وهيبة الناس

إياه، وقد شهد المسجد عمارة كبيرة فى عهده غيرت من تخطيطه وعناصره المعمارية، حيث قام زياد بن أبيه (٤٥-٥٥هـ/ ٦٦٥-٦٧٥م) بهدمه وإعادة بنائه بالطابوق والجص، وأقام سقوفه من خشب الساج على أعمدة حجرية طوال تتألف من عدة قطع اسطوانية يضمها إلى بعضها سفود حديد يمر بمركزها، واتخذ زياد للجامع مئذنة ومقصورة، وأمر أن تكون دار الإمارة ملاصقة له من جهة جدار القبلة، وجعل بينهما مدخلاً يؤدى من الدار إلى بيت الصلاة[٣].

وقد تكامل تخطيط المسجد بعد عمارة زياد والى العراق فأصبح يتكون من صح وأربع ظلات تحيط بالصحن من جميع جهاته، وقد تأثر المسجد فى أسلوب التغطية الذى جاء من خشب الساج مباشرة على دعامات حجرية دون عقود بأسلوب التغطية فى المسجد النبوى.

هذا وقد أظهرت الحفائر الأثرية التى أجريت فى عام ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م أن المسجد فى عهد زياد والى العراق من قبل الخليفة الأموى معاوية بن أبى سفيان كان يشغل مساحة مستطيلة مقاييسها ١٢٠,٣٠ × ٨٨,٥٠م تنقسم إلىَ صحن أوسط مكشوف تحيط به ظلات أربع أعمقها ظلة القبلة التى جاءت من خمس بلاطات تفصلها خمسة صفوف من الأعمدة الاسطوانية القائمة على قواعد مربعة، وجاءت بقية الظلات من بلاطتين، وتم الكشف أيضًا عن قاعدتى مئذنتين إحداهما فى الركن الشمالى الغربى، والأخرى فى الركن الشمالى الشرقى، وقد استمرت العناية بالمسجد بعد أن توسعت البصرة فى العصر العباسى[٤].

جامع الكوفة ١٧هـ/٦٣٨م (شكل ٦٤)

تعد الكوفة المدينة الإسلامية الثانية بعد البصرة التى شيدت خارج الجزيرة العربية، أنشأها القائد سعد بن أبى وقاص فى عام ١٧هـ/٦٣٨م، ويماثل تخطيطها تخطيط البصرة، فقد أمر الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن يكون المسجد الجامع فى الوسط منها، وتكون دار الإمارة قريبة منه، وأن تتوزع خطط القبائل حول المسجد الجامع ودار الإمارة(٥).

اختط القائد سعد بن أبى وقاص المسجد، وجعله على هيئة مربعة تنقسم إلى صحن وظلة للقبلة، وقد شيد المسجد بالقصب شأنه فى ذلك شأن بقية عمائر الكوفة الدينية والمدنية من جهة، وشأن منشآت مدينة البصرة الدينية والمدنية عند تأسيسها من جهة أخرى، ثم تطورت مادة البناء إلى لبن وطين بعد تعرضها لحريق هائل بعد سنة من تمصيرها كما هو الحال فى البصرة، ويماثل تخطيط مسجد الكوفة تخطيط مسجد البصرة عند إنشائه والمسجد النبوى بالمدينة قبل تحويل القبلة(٦).

هذا وقد تكامل تخطيط المسجد فى عهد والى العراق زياد بن أبيه شأنه فى ذلك شأن مسجد البصرة، حيث قام زياد بإعادة بنائه بالآجر والجص، وأقام زياد والى العراق سقف المسجد على أساطين من رخام اسطوانية، وأصبح المسجد يتكون من صحن أوسط مكشوف وأربع ظلات فى عام ٥٠هـ/ ٦٧٠م(٧).

وقد أمدنا ابن جبير بوصف رائع لعمارة المسجد عندما مر بالكوفة فى عام ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م، حيث قال «وهو جامع كبير، فى الجانب القبلى منه خمسة أبلطة، وفى سائر الجوانب بلاطان، وهذه البلاطات على أعمدة من السوارى

الموضوعة من صم الحجارة، المنحوتة قطعة على قطعة، مفرغة بالرصاص ولاقسى عليها، على الصفة التى ذكرناها فى مسجد رسول الله، ﷺ، وهى فى نهاية الطول، متصلة بسقف المسجد، فتحار العيون فى تفاوت ارتفاعها فما أرى فى الأرض مسجداً أطول أعمدة منه ولا أعلى سقفًا»[٨].

ويتطابق وصف ابن جبير وتخطيط المسجد فى عهد زياد بن أبيه فى عام ٥٠هـ/ ٦٧٠م سواء فى التخطيط أو فى أسلوب التغطية هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فقد ربط ابن جبير بين مسجد الكوفة والمسجد النبوى ربطًا رائعًا نتبين منه أن هذا المسجد تأثر فى أسلوب التغطية بالمسجد النبوى.

مدينة واسط ٨٣-٨٦هـ/٧٠٢-٧٠٥م (شكل ٦٥)

تقع مدينة واسط اليوم إلى الجنوب الشرقى من بلدة الحى فى محافظة واسط على بعد ١٥ كم وتدعى بين سكان المنطقة بالمنارة نسبة إلى بقايا إحدى المنارتين اللتين تحيطان بمدخل فخم من الناحيتين المعمارية والزخرفية، ومن المرجح كما يذكر د. عيسى سلمان أنه مدخل المدرسة الشرابية أو الشرفية أو الإقبالية التى شيدها شرف الدين إقبال الشرابى ببغداد فى عام ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م، وهى المدرسة التى أشرف على عمارتها شمس الدين أبو الأزهر أحمد بن الناقد وكيل الخليفة المستنصر بالله(٩).

وكان الحجاج بن يوسف قد رغب فى بناء مدينة جديدة تسهل عليه إدارة العراق بعد أن أحس أنه من الصعب عليه الاستمرار فى حكم العراق من مدينتى البصرة والكوفة، حيث كان يقيم ستة أشهر فى كل منهما فأرسل إلى الخليفة عبد الملك بن مروان يستأذن فى عمارتها، فأذن له الخليفة بذلك، قال الطبرى فى أحداث سنة ٨٣هـ/ ٧٠٢م «وفى هذه السنة: بنى الحجاج واسطا»(١٠).

وقال ابن تغرى بردى فيما يتعلق بالاسم عند ذكره السنة الثالثة عشرة من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر وهى سنة ٧٨هـ «وفيها فرغ الحجاج بن يوسف، وإنما سميت واسط لأنها بين الكوفة والبصرة، منها إلى الكوفة خمسون فرسخا وإلى البصرة كذلك»(١١).

وقد ذكر د. عيسى سلمان(١٢) أن هجر وخراب هذه المدينة الهامة يرجع إلى عامل رئيسى يتمثل فى تغيير مجري نهر دجلة، وقد تم اختيار موقع واسط بعناية بالغة فهى عبارة عن بقعة مرتفعة عن مستوى سطح النهر، هواؤها عذب،

وطعامها سائغ على دجلة، وهى تتوسط العراق أو المدن الهامة فيه مثل البصرة والكوفة والمدائن لذلك عرفت بواسط[١٣].

هذا وقد اختلفت الآراء من قبل المؤرخين والجغرافيين حول تاريخ الابتداء فى إنشاء مدينة واسط، حيث ذكر أن الابتداء كان فى عام ٧٨هـ/ ٦٩٧م، وذكر أن الابتداء كان فى عام ٨٣هـ/ ٧٠٢م، وأن الفراغ كان فى عام ٨٦هـ/ ٧٠٥م، ويرجح د. عيسى سلمان أن التاريخ الثانى هو الصحيح، وهو التاريخ الذى تقدم ذكره عند ذكر نص الطبرى، ثم أن ابن الأثير ذكر فى أحداث سنة ٨٣هـ/ ٧٠٢م ما نصه «وفى هذه السنة بنى الحجاج واسطا»[١٤].

وعلى الرغم من أن تخطيط واسط يعد استمرارًا لتخطيط البصرة والكوفة إلا أن تخطيط واسط يمثل مرحلة أكثر تطورًا نتيجة تغير الأحوال السياسية والدينية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والفنية للدولة العربية الإسلامية، لذا فإن هذا التطور يرتبط ارتباطًا وثيقًا بطبيعة هذه الفترة من تاريخ المجتمع العربى الإسلامى»[١٥].

أمر الحجاج بن يوسف بتشييد دار الإمارة أو القصر والمسجد الجامع فى قلب المدينة، وترك حولهما فاصلاً يفصلهما عن الأسواق والدور والخطط، وأمر أن يشغل القصر مساحة مربعة يبلغ طول ضلعها ٤٠٠ ذراع، وأن يكون هذا القصر ملاصقًا للمسجد الجامع الذى جاء أيضًا من مساحة مربعة يبلغ طول ضلعها ٢٠٠ ذراع، كما أمر أن يكون القصر بمثابة مركز المدينة أى يتوسطها تمامًا بحيث تؤدى إليه أو تتقاطع عنده الشوارع الرئيسية الأربعة التى تفصل بين خطط الناس فى المدينة، وجعل خطط الناس بين هذه الشوارع الرئيسية[١٦].

وقد أفرد الحجاج الخطط لأصحاب المهن، كل حسب مهنته، وأفرد خطط أهل الشام وأهل البصرة والكوفة، وجعل الأسواق تفصل بين الخطط وقلب المدينة، أما فيما يتعلق باستحكامات المدينة الحربية فقد ذكر أن الحجاج حصن المدينة بسورين وخندق، وذكر أنه أحاطها بسور وخندقين، وأمر أيضًا أن تقام الأبواب

الحديدية فى مداخل المدينة، وأن تغلق ليلاً لكى لا يسمح لغير أهلها المبيت فيها، ويضيف د. عيسى سليمان أن بناء المدينة كلف الحجاج خراج العراق لمدة خمس سنوات(١٧).

ونلمس التطور الذى طرأ على تخطيط وعمارة مدينة واسط مقارنة بتخطيط وعمارة البصرة والكوفة فى زيادة سعة دار الإمارة أو القصر على سعة المسجد الجامع وجعلها تمثل مركز المدينة بعد أن كان المسجد الجامع يمثل هذا المركز فى مدينتى البصرة والكوفة، وقد صارت دار الإمارة تعرف بقصر الحجاج وعرفت بقبتها الخضراء التى كانت ترى من مسافات بعيدة.

ويرجح د. عيسى سلمان أن الحجاج بن يوسف قد تأثر بشكل مباشر فى تحديد سعة القصر بما كان فى دار الإمارة بالكوفة فى العصر الأموى، حيث وسعت الدار وصار طول ضلع سورها الخارجى ١٧٦ مترا، بينما كان طول ضلع المسجد ١٠٣ مترا، ويعكس هذا التوسع ازدياد عدد أفراد الجهاز الإدارى، وتنوع المهام، حيث جعلت دار السك ضمن قصر الحجاج(١٨).

كما يمكن أن نلمس التطور فى خطط المدينة، حيث جاءت غير قبائلية، بل مهنية وإقليمية تختلف عن خطط البصرة والكوفة، ويمتد هذا التطور إلى التخطيط أيضًا فقد قسمت واسط إلى أربعة أرباع تفصلها شوارع مستقيمة تنتهى فى مركز المدينة، أما فى مدينتى البصرة والكوفة فقد كانت الشوارع الرئيسية بعدد خطط القبائل تقريبًا، كذلك من مظاهر التطور أيضًا تحصين المدينة بسورين وخندق أو بخندقين وسور، وهى الاستحكامات الحربية التى خلت منها البصرة والكوفة لأنها كانت بمثابة مراكز انطلاق بالدرجة الأولى، أما واسط فصارت مركزًا إداريًا، حيث استقرت مبادئ الدين الجديد فى البلاد، كذلك اختيار الموقع، حيث لم يراع فيه قضية المانع الطبيعى بين المدينة الجديدة وحاضرة العالم العربى الإسلامى(١٩).

المسجد الجامع والقصر بواسط

أولا: المسجد الجامعة (شكل ٦٦)

قامت مديرية الآثار العامة بالعراق بالتنقيب فى مدينة واسط فى عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م، وقد تركزت هذه التنقيبات فى مسجدها وقصرها، واستمرت هذه الأعمال ستة مواسم، أما فيما يتعلق بالمسجد فقد أثبتت الحفائر أنه كان يشغل مساحة مربعة أبعادها ١٠٣,٥٠ × ١٠٤,٥٠ مترا، وهى تساوى مائتى ذراع تقريبًا، وقد شيد البناء بالطابوق والجص، أما سمك الجدران فكان ٢,٥٠م تقريبًا، وكانت سقوفه ترتكز على أعمدة اسطوانية من حجر رملى، بحيث يتألف كل عمود منها من عدة مدورات تم الجمع بينها بواسطة سفود حديدى أو رصاصى يمر فى وسطها، وتتميز هذه الأعمدة من خلال زخارفها النباتية والهندسية المحفورة عليها(٢٠).

أثبتت الحفائر الأثرية أن تخطيط المسجد فى عهد الحجاج بن يوسف جاء من صحن مستطيل وأربعة أروقة أكبرها وأعمقها رواق القبلة الذى كان يتألف من خمس بلاطات تمتد موازية لجدار القبلة وتسع عشرة بلاطة عمودية بالنسبة لجدار القبلة، أما الأروقة الثلاثة الأخرى المحيطة بالصحن فقد جاءت من بلاطة واحدة(٢١).

وكانت أرضية المسجد مفروشة بطابوق أحمر، ثم استبدل بطابوق أصفر وكان الدخول إليه يتم من خلال أحد عشر بابًا، أربعة منها فى كل من الرواقين الجانبيين والبقية فى جدار المؤخرة، ومن المرجح أن الجدران الخارجية كانت مدعمة بأبراج، وقد أظهرت التنقيبات أن هذا الجامع جدد فى عام ٤٠٠هـ/ ١٠١٠م وبدون أحداث أية زيادة فيه بغرض تصحيح قبلته، حيث كان جدار القبلة فى الجامع الأول منحرفًا بمقدار ٣٤ درجة عن الخط القبلى الصحيح، وربما يعود هذا الانحراف إلى بناء دار الإمارة أو القصر قبل المسجد وجعل المسجد يلتصق بجدارها الشمالى الشرقى، ثم هدم المسجد مرة أخرى فى

عام ٥٥٠هـ/ ١١٥٥م وأعيدت عمارته على نفس المساحة وبنفس التخطيط، ويبدو أنه جدد فى العصر الأيلخانى[٢٢].

ثانيا: القصر

اهتم الحجاج بن يوسف الثقفى اهتمامًا خاصًا بدار الإمارة التى كانت تعرف بقصر الحجاج فجعلها تمثل قلب المدينة، بحيث تؤدى إليها أو تتقاطع عندها الشوارع الرئيسية الأربعة التى تفصل بين خطط الناس فى المدينة، وقد جاءت هذه الدار فى مساحتها ضعف مساحة المسجد الجامع، وجعل الحجاج المسجد يلتصق بها عند جدارها الشمالى الشرقى، وذكر أنه أسند تخطيط وعمارة القصر إلى اثنين من المهندسين هما القاسم بن أنبار وأبو شعيبة بن الحجاج، وكشفت التنقيبات التى أجريت بالمدينة عن أن طول ضلع الدار بحدود ٢٠٠م وأنها مربعة الشكل، غير أن الهيئة لم تستطع أن تتتبع تخطيط القصر بسبب الأنقاض المتراكمة، وكان القصر مشيدًا بالطابوق والجص مثل المسجد الجامع[٢٣].

اشتهر قصر الحجاج بقبته العالية الخضراء وصارت تعرف بقصر القبة الخضراء، وكانت تشاهد من مسافات بعيدة، وتشتمل الدار على حديقة واسعة وبركة ماء، وكان يتوصل إليها من خلال أربعة أبواب يؤدى كل منها إلى طريق عرضه ثمانون ذراعًا، وهى الطرق الرئيسية التى تخترق خطط المدينة، فيكون القصر قلب المدينة[٢٤].

واسط من خلال وصف ياقوت الحموى

قال ياقوت الحموى «واسط: فى عدة مواضع: نبدأ أولاً بواسط الحجاج لأنه أعظمها وأشهرها.. فأما تسميتها فلأنها متوسطة بين البصرة والكوفة لأن منها إلى كل واحدة منهما خمسين فرسخا، لاقول فيه غير ذلك إلا ما ذهب إليه بعض أهل اللغة حكاية عن الكلبى أنه كان قبل عمارة واسط هناك موضع يسمى واسط قصب، فلما عمر الحجاج مدينته سماها باسمها، والله أعلم.. شرع الحجاج فى عمارة واسط فى سنة ٨٤ وفرغ منها فى سنة ٨٦ فكان عمارتها فى عامين فى العام الذى مات فيه عبد الملك بن مروان.. وقال الأصمعى: وجه الحجاج الأطباء ليختاروا له موضعًا حتى يبنى فيه مدينة فذهبوا يطلبون ما بين عين التمر إلى البحر وجولوا العراق ورجعوا وقالوا: ما أصبنا مكانًا أوفق من موضعك هذا.. وقال قوم: إن الحجاج لما فرغ من حروبه استوطن الكوفة فآنس منهم الملال والبغض له، فقال لرجل ممن يثق بعقله: امض وابتغ لى موضعا.. ابنى فيه مدينة وليكن على نهر جار، فأقبل ملتمسًا ذلك حتى سار إلى قرية فوق واسط بيسير يقال لها واسط القصب فبات بها واستطاب ليلها واستعذب أنهارها واستمرأ طعامها وشرابها.. وكان موضع واسط لرجل من الدهاقين.. فابتاع الموضع من الدهقان وابتدأ فى البناء فى أول سنة ٨٣ واستتمه فى سنة ٨٦ ومات فى سنة ٩٥.. وأنفق الحجاج على بناء قصره والجامع والخندقين والسور ثلاثة وأربعين ألف ألف درهم.. وكان ذرع قصره أربعمائة فى مثلها وذرع مسجد الجامع مائتين فى مائتين وصف الرحبة التى تلى صف الحدادين ثلاثمائة فى

ثلاثمائة وذرع الرحبة التى تلى الجزارين والحوض ثلاثمائة فى مائة والرحبة التى تلى الاضمار مائتين فى مائة..»[٢٥].

أعمال معمارة للحجاج بن يوسف خارج العراق

مسجد الحجاج فى بنى سلمة

ومن أعمال الحجاج المعمارية المسجد فى بنى سلمة، قال الطبرى عند ذكره الحجاج وانصرافه إلى المدينة فى أحداث عام ٧٤هـ/ ٦٩٣م «وبنى بها مسجداً فى بنى سلمة، فهو ينسب إليه»[٢٦].

الاستحكامات الحربية (المناظر من واسط إلى قزوين)

أما فيما يتعلق بأعماله المعمارية الخاصة بالاستحكامات الحربية فقد أورد ياقوت الحموى عند ذكره مدينة واسط «واتخذ المناظر بينه وبين قزوين، وكان إذا دخن أهل قزوين دخنت المناظر إن كان نهاراً، وإن كان ليلاً أشعلوا نيرانًا فتجرد الخيل إليهم فكانت المناظر متصلة بين قزوين وواسط فكانت قزوين ثغراً حينئذ»[٢٧].

فتح السند والهند وتشييد المسجد الجامع

عهد الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك، بأمر القسم الشرقى من بلاده إلى الحجاج بن يوسف الثقفى فكان من الطبيعى أن يهتم الحجاج بأمر إقليم السند باب الهند فبعث بسعيد بن أسلم إلى مكران، غير أنه قتل على يد معاوية ومحمد بن الحارث وهما من الخارجين على الدولة الأموية، وألح الحجاج على الخليفة الوليد تسيير الجند لفتح السند فأذن له، وعندئذ قام الحجاج بإرسال محمد بن القاسم الثقفى على رأس الحملة، وكان يقيم إذ ذاك بشيراز، وقام الحجاج بالإشراف على هذه الحملة بنفسه، وسار المسلمون من مكران وجهتهم ديبل وذلك فى عام ٨٩هـ/ ٧٠٧م، وتمكن محمد بن القاسم من فتح السند وتشييد المسجد الجامع بها، ثم واصل زحفه حتى وصل مدينة نيرون (نيرا نكوت) على

الضفة الغربية للسند، وجاء أمر الحجاج أن تتجه الحملة إلى شاطئ السند الشرقى فرجع محمد بن القاسم عن موقع سيوى، وانتصر المسلمون على داهر واستولوا على حصن راور، ودخل مدينة برهمنا باد وأقام بها، وبلغ المسلمون الرور عاصمة داهر، ثم استولوا على مدينة الملتان آخر حصون السنديين الكبرى(٢٨).

كتب القائد محمد بن القاسم إلى الحجاج بن يوسف يستأذنه فى فتح مملكة قنوج أعظم إمارات الهند، وكانت تمتد من السند إلى البنغال، فأجابه إلى طلبه، وفى ذلك الوقت توفى الحجاج بن يوسف ثم الخليفة الوليد بن عبد الملك، وأرسل الخليفة سليمان بن عبد الملك يستدعى محمد بن القاسم للقدوم عليه، وفتر اهتمام الخلافة الأموية بأمر الفتوح فى شبه القارة الهندية(٢٩).

المسجد العلوى فى اسكاف بنى جنيد (شكل ٦٧)

كشفت مديرية الآثار العراقية عن آثار هذا المسجد العتيق الذى يرجع إلى عهد هشام بن عبد الملك فى سنة ١١٠هـ/ ٧٢٨م، ويشغل مربعًا غير منتظم الأضلاع، طول جدار القبلة فيه ٥٠م وطول جداره الشرقى ٥٥م، وهو من صحن وأربع ظلات(٣٠).

المسجد الجامع فى حران ١٢٦-١٣٢هـ/٧٤٤-٧٥٠م (شكل ٦٨)

شيد المسجد الجامع فى حران فيما بين سنتى ١٢٦ و ١٣٢هـ/ ٧٤٤ و ٧٥٠م كما يعتقد د. أحمد فكرى أى خلال الفترة التى اتخذت فيها حران عاصمة للخلافة، وذلك فى عهد الخليفة الأموى مروان بن محمد، وقد كشفت الحفائر عن بعض آثاره، ويستدل من هذه الحفائر أنه كان يشغل مساحة مربعة تقريبًا طول جدار القبلة فيه ١١٠م، كما يبلغ جوف ظلة القبلة ٣٨م، ولا يتوسط المحراب جدار القبلة(٣١).

قصر الشعيبة بالقرب من البصرة (شكل ٦٩، ٧٠)

كشفت بعثة فنية من مديرية الآثار العامة بالعراق عددًا من التلال الأثرية فى منطقة الشعيبة بالقرب من البصرة القديمة، كما كشفت عن قصر نزهة يعود إلى نفس الفترة التى شيدت فيها قصور الشعيبة وهى العصر الأموى، ويستدل من تخطيطات هذه الدور أنها قصور نزهة أو صيد، وتكشف تخطيطاتها من جهة، وعناصرها المعمارية والزخرفية من جهة أخرى أنها ترجع إلى العصر الأموى، حيث ازدهرت البصرة خلال تلك الفترة، وقد بلغ عدد الدور المكتشفة ست، وهى مستقلة عن بعضها متباينة فى مساحاتها، وأهم هذه التلال التل رقم (١)، وهو يتألف من مرتفعين أحدهما وهو الأصغر يتكون من دكة من اللبن مستطيلة الشكل ترتبط بالآخر من خلال درب، ويضم الآخر دارا ذات تصميم هندسى متقن، وهو عبارة عن بقايا قصر ضخم شيد أغلب الظن لأحد وجهاء البصرة، وربما يكون لعبيد الله بن زياد واليها[٣٢].

يتبع تخطيط هذا القصر الطراز الحيرى، فهو عبارة عن بناء مستطيل المسقط يمتد من الخارج من الشرق إلى الغرب بمقدار ٥٨م، ومن الشمال إلى الجنوب بمقدار ٦٩م، تطل وحداته على صحن مكشوف مربع المسقط تقريبًا ويحيط بالقصر جدار ضخم يبلغ سمكه ١,٧٠م تدعمه أبراج ترتكز على قواعد مستطيلة، والأبراج نصف دائرية فى الجدران شبه دائرية في الأركان، يبلغ عددها (٢٠) برجًا وزعت بشكل متناسق بواقع أربعة أبراج فى كل ضلع فى الجهات الثلاث الجنوبية والشرقية والغربية، أما الجهة الشمالية فقد أوجد المعمار بها برجين على جانبى المدخل، كما أوجد المعمار برجًا فى كل ركن من أركان البناء.

وتحيط القاعات بالصحن من الجهات الشمالية والشرقية والغربية، وهى عبارة عن صف من الغرف ذات مخططات مستطيلة يتوسطها إيوان مستطيل، وقد تم توزيع القاعات بشكل متناغم، يتقدمها رواق معقود بشكل متناسق، أما الجهة

الجنوبية فتختلف فى تصميم وحداتها السكنية عن الجهات السابقة، حيث جاءت من ثلاث وحدات، الوسطى من إيوان مستطيل تكتنفه قاعة مستطيلة، وتتقدم هذه الوحدات سقيفة تشرف من خلالها الوحدة السكنية على الفناء الرئيسى، وهو الأسلوب الذى يمثل الطراز الحيرى.

أما الوحدتان الجانبيتان فمن عدة قاعات تشرف على فناء يتوسطها من جهة، وعلى فناءين يقعان على جانبى الوحدة الوسطى من جهة أخرى، وقد زخرفت واجهات الإيوانات بألواح جصية ذات زخارف هندسية ونباتية، كما زخرفت بعض القاعات بزخارف نباتية وهندسية محفورة.

هوامش وتعليقات الفصل الثانى

(١) د. عيسى سلمان وآخرون: العمارات العربية الإسلامية فى العراق، دار الرشيد للنشر، الجمهورية العراقية، جـ١، ص ٤٩.

(٢) د. عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ١، ص ص ٤٩-٥٠.

(٣) د. عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ١، ص ٥٠، د. محمد عبد الستار عثمان: المدينة الإسلامية، عالم المعرفة، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٢٨، ذو الحجة ١٤٠٨هـ/ أغسطس/آب ١٩٨٨م، ص ص ٦٦-٦٧.

(٤) د. عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ١، ص ص ٥٠-٥١.

(٥) د. عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ١، ص ص ٥٦-٥٧.

(٦) د. عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ١، ص ص ٥٧-٥٩.

(٧) د. عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ١، ص ٥٩.

(٨) ابن جبير: رحلة ابن جبير، ص ١٦٨.

(٩) د. عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ١، ص ٦٨، د. عبد الله كامل موسى عبده: العباسيون وآثارهم المعمارية فى العراق ومصر وإفريقيا، دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ص ٨٣.

انظر عن المدرسة الإقبالية: النعيمى (عبد القادر بن محمد) ت

٩٢٧هـ/ ١٥٢٠م: الدارس فى تاريخ المدارس، تحقيق جعفر الحسنى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٨٨م، جـ١، ص ص ١٥٨-١٦٠.

(١٠) الطبرى: تاريخ الطبرى، مج٣، ص ١٤٩.

قال الطبرى فى سبب بناء واسط «وكان سبب بنائه ذلك ـ فيما ذكر ـ أن الحجاج ضرب البعث على أهل الكوفة إلى خراسان، فعسكروا بحمام عمر، وكان فتى من أهل الكوفة من بنى أسد حديث عهد بعرس بابنة عم له، انصرف من العسكر إلى ابنة عمه ليلاً، فطرق الباب طارق ودقه دقًا شديداً، فإذا سكران من أهل الشام، فقالت للرجل ابنة عمه: لقد لقينا من هذا الشأمى شراً، يفعل بنا كل ليلة ما ترى، يريد المكروه، وقد شكوته إلى مشيخة أصحابه، وعرضوا ذلك، فقال: ائذنوا له، ففعلوا، فأغلق الباب، وقد كانت المرأة تجدت. منزلها وطيبته، فقال الشامى: قد آن لكم، فاستقناه الأسدى فأنذر رأسه، فلما أذن بالفجر خرج الرجل إلى العسكر وقال لامرأته: إذا صليت الفجر فابعثى إلى الشاميين أن اخرجوا صاحبكم، فسيأتون بك الحجاج، فاصدقيه الخبر على وجهه، ففعلت، ورفع القتيل إلى الحجاج، وأدخلت المرأة عليه وعنده عنبسة بن سعيد على سريره، فقال لها: ما خطبك؟ فأخبرته، فقال صدقتنى. ثم قال لولاة الشام: ادفنوا صاحبكم فإنه قتيل الله إلى النار، لا قود له ولا عقل، ثم نادى مناديه: لا ينزلن أحد على أحد، واخرجوا فعسكروا».

الطبرى: تاريخ الطبرى، مج٣، ص ٦٤٩.

(١١) ابن تغرى بردى: النجوم، جـ١، ص ١٩٨.

(١٢) ذكر د. عيسى سلمان أنه مما لاشك فيه أن تغيير مجرى نهر دجلة فى وقت ما كان العامل الأساسى لهجر وخراب هذه المدينة المهمة، والذى يزور موقعها لايجد إلا تلولا ترابية متناثرة هنا وهناك وأنقاض أبنية منتشرة على جانبى واد عميق هو مجرى دجلة القديم.

د. عيسى سلمان وآخرون: العمارات العربية الإسلامية فى العراق، الجزء الأول (تخطيط مدن ومساجد)، ص ٦٨.

(١٣) د. عيسى سلمان وآخرون: العمارات العربية، جـ١، ص ص ٦٨-٧١.

ذكر شريف يوسف أن الحجاج عندما تولى أقام بالكوفة سنة ومثلها فى البصرة شريف يوسف: تاريخ فن العمارة العراقية فى مختلف العصور، دار الرشيد للنشر، الجمهورية العراقية، ١٩٨٢م، ص ٢٤٨.

(١٤) ابن الأثير: الكامل، جـ٣، ص ٥١٤، د. عيسى سلمان وآخرون: العمارات العربية، جـ١، ص ٧٢.

(١٥) د. عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ١، ص ٧٣.

(١٦) د. عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ١، ص ٧٣.

(١٧) د. عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ١، ص ٧٣.

(١٨) د. عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ١، ص ص ٧٣-٧٤.

(١٩) د. عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ١، ص ٧٤.

(٢٠) د. عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ١، ص ٧٦، شريف يوسف: تاريخ فن، ص ص ٢٤٩-٢٥١.

(٢١) د. عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ١، ص ٧٦، شريف يوسف: تاريخ فن، ص ص ٢٥١-٢٥٣.

(٢٢) د. عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ١، ص ص ٧٦-٧٧.

(٢٣) د. عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ١، ص ص ٧٧-٧٨.

(٢٤) د. عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ١، ص ٧٨.

(٢٥) ياقوت الحموى: معجم البلدان، جـ٥، ص ص ٣٤٧-٣٥٠.

(٢٦) الطبرى: تاريخ الطبرى، مج٣، ص ٥٤٣.

(٢٧) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٥، ص ٣٥٠.

(٢٨) أحمد محمود الساداتى: تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية وحضارتهم، مكتبة الآداب بالجماميز، القاهرة، جـ١ (من الفتح العربى حتي قيام الدولة المغولية ـ ٨٩هـ/ ٧٠٧م - ٩٣٢هـ/ ١٥٢٦م)، ص ص ٥١-٦٠.

أنظر عن بلاد السند: ابن حوقل: صورة الأرض، ليدن، الطبعة الثانية، ١٩٣٨م، ق١، ص ص ٣١٧-٣٢٢.

(٢٩) أحمد محمود الساداتى: تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية وحضارتهم، ص ص ٦٠-٦١.

انظر أيضا عن الفتح الإسلامى لشبه القارة الهندية فى العصر الأموى:

د. عبد المنعم النمر: تاريخ الإسلام فى الهند، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص ص ٧٣-٧٧، د. أحمد رجب ـ محمد على: تاريخ وعمارة المساجد الأثرية فى الهند، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ص ص ١٤-١٦.

(٣٠) د. أحمد فكرى: المدخل، ص ص ٢٢٢ - ٢٢٤.

(٣١) د. أحمد فكرى: المدخل، ص ٢٢٢.

(٣٢) د. عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ٢، ص ص ١٣-١٦.